حياة الموصل المضجرة هي التي جعلته يطلق زوجته . غير انني وقد قضيت يومين في تلك المدينة العراقية اميل الى القول أن الاحتمال الثاني هو الارجح .

الافراط في السخرية موقفسلبي يصبح صاحبه عاجلا او آجلا كالحطيئة يكره كل الناس . فمن بين كل الشخصيات التي يرد ذكرها في « برايت ليفانت » نجد أن أحدا لم يستحوذ على اعجاب المؤلف بلا تحفظ غير الملك عبد العزيز بن سعود في الجانب العربي واللورد كرومر في الجانب البريطاني . حتى أن تشرشل ذاته لم يفلت من قلم المؤلف الحاد . فقبل ان يقابل رئيس الوزراء البريطاني ابن سعود تلقى نصيحة بأن لا يمس مسألة فلسطين . ولكن تشرشل أبلغ المؤلف انه لو أراد أن يبحث المسألة ويكسب مباركة الملك للمشروع الصهيوني لحاول أن يقول : كما أن بريطانيا أسدت للعرب جميلا فأعطت العراق لفيصل ، ينبغي على العرب أن يردوا الجميل بمثله ويعطوا فلسطين لليهود . هذا ما كان سيقال لابن سعود ، الد اعداء الهاشميين ! أما تعليقات سميث على مسألة فلسطين فحرية بالتفات أولئك السياسيين البريطانيين الذين يضحون بمصالح بلادهم على مذبح حفنة من الاصوات اليهودية في الانتخابات العامة . « لقد ترعرعت مع رسالة مكماهون كخلفية وحيدة لتفكيري فيما يتعلق بالمخططات الخاصة بالعالم العربي في فترة ما بعد الحرب ، ويعود ذلك جزئيا الى أن حياتي العملية، كحياة معظم زملائي ممن عملوا في المشرق ، قد تأثرت تأثرا بالغا ، بل سممت ، بردود فعل المسلمين تجاه دعمنا للصهيونية السياسية » . ويتصدى المؤلف لمسألة رسالة مكماهون فيناقش دعوى العرب ان فلسطين لم تكن مستثناة من المملكة العربية ، ولكن اشارته الى « ردود فعل المسلمين » بالغة الدلالة . فبالنسبة للمؤلف ، لم توجد القومية العربية قط ، وحيث وجدت كانت لعنة . واعتذار المؤلف لجيله من الدبلوماسيين الذين كانوا يمضون اوقاتهم في نادي محمد علي فلا يعرفون شيئا عن الجماهير المتململة اعتذار يبعث على الشفقة . وليس ذلك لانه يتطلع بأي قدر من الاعجاب الى الباحثين عن الثروة والسياسيين الفاسدين من باشوات وامراء ما قبل عهد الثورة. على العكس من ذلك ، سيجد القادة الحاليون خيرا في ترجمة ما يرويه المؤلف عن الحياة التي كان يعيشها أفراد « نخبة » تلك الفترة : ضعفهم الذليل أمام النساء ، نهمهم المتهتك للمركز والثراء، جهلهم ، تحللهم ، لصوصيتهم وخياناتهم . حتى ان سادة مصر الملكيةخلفوا لنا طقسا عربيدا من طقوس الجريمة . فعندما صدرت الاوامر بادخال بعض التعديلات على قصر المنتزه ، وجد المعمار الايطالي هيكلين عظميين لرجل وامرأة مدفونين في أحد الجدران .

ان حب السير لورنس لابن سعود وكرومر يفسر موقفه ، أي موقف القيادة الابوية . فلو لم يغرق الالمان كرومر وسفينته(!) لكان مجد بريطانية في العالم العربي خالدا . فبدون كرومر والنخبة التي كان يستعين بها من الخبراء الممتازين ، أصبحت رئاسة الوزراء تعتمد على موظفين من الدرجة الثانية ، وجرى التعويض عن النوع بالكم ، وكان الكم يحمل في احشائه انحطاط النوع الى مستوى عادي . فاستطاع العرب أن يبددوا خرافة السوبرمان الانجليزي اذ اكتشفوا أنه ليس بأفضل منهم . وكان هذا بداية المتاعب لانجلترا . وخلال الحرب كانت النقود التي سكبتها انجلترا في المنطقة لشراء البضائع والخدمات تذهب الى جيوب المقاولين اليهود فلا تصل ابدا الى الفلاح الفقير . وفي محاولة أبوية أخرى ، اقترح سميث تشكيل دائرة خاصة لتشتري من الناس مباشرة ، ولكن انجلترا كانت مشغولة بالحرب الى درجة لا تسمح لها بالاهتمام بالفلاحين ، وكتب الجنرال فيليب ميتشيل يطلب فصل سيمور سميث . فظل الفلاحون يبيعون منتوجاتهم باسعار العام ١٩٣٩ ، وظل أصحاب المشاريع اليهود يلتهمون الفارق الضخم في الاسعار ، على حد رواية المؤلف . الكتاب غني بـ « لو أن »، ولكن لا شك في أن أعظم « لو أن » من بينها جميعا ، هي : لو أن آرثر بلفور كان فتاة.

خالد القشطيني